الفصل الخامس

التدخُّل المبكر، ومواجهة مشكلات السلوك

✍التدخُّل المبكر هو نظام خدمات تربوي وعلاجي ووقائي يُقدَّم للأطفال الصّغار منذ الولادة وحتى (٦) سنوات ممَّن لديهم احتياجات خاصَّة نمائية وتربوية٠

ويُشير هذا المصطلح إلي الإجراءات والممارسات التي تهدف إلي مُعالجة مشكلات الأطفال، بالإضافة إلي توفير حاجات أُسر هؤلاء الأطفال من خلال تقديم البرامج التدريبية والإرشادية٠

وللتدخُّل المبكر أهمية خاصَّة ومبررات قويَّة يتفق عليها معظم الباحثين والعاملين في مجال التربية الخاصَّة، يمكن تلخيص تلك المبررات في الجوانب التالية:

- أكَّدت جميع نتائج الدراسات والأبحاث أن مراحل النموّ الأوليَّة تُعتبر ذات أهمية بالغة في نموّ الطفل وتكيُّفه، وعليه فإنَّ التدخُّل المبكر في هذه المرحلة سوف تُسهم في تنمية قدرة الطفل العقليَّة والحركيَّة، وفي تحسُّن السلوك الاجتماعي والانفعالي٠
- إنَّ توفير برامج التدخُّل المبكر قد يُخفّف من الإعاقة أو يمنعها، وبالتالي يحد من تحويل أعداد كبيرة لبرامج التربية الخاصَّة، ممَّا يؤدي بالتالي إلي تخفيف الجهد

والتكلفة المادية المتوقعة علي تقديم خدمات تربوية متخصّصة.

- للتدخُّل المبكر أثر بالغ في تكيُّف الأسرة والتخفيف من الأعباء الماديَّة والمعنويَّة نتيجة وجود حالة الإعاقة لديها.

- **أهداف، وفوائد التدخُّل المبكر:**

١. يُساعد علي تهيئة المناخ المناسب لنموّ الطفل ذو الاحتياجات الخاصَّة.

٢. التركيز علي مصادر القوَّة عند الأطفال وإعطاؤهم الفرصة للعيش، وذلك باستخدام الوسائل العلميَّة في وقتٍ مبكر، ومن ثمَّ زيادة الثقة بالنفس.

٣. التركيز علي الجودة في الأداء العام لهؤلاء الأطفال.

٤. التقليل من أثر الإعاقات النمائيَّة بين الأطفال.

٥. يهدف إلي إجراءات مُعالجة فورية وقائية الهدف منها: تنمية قدرات الطفل في مجالات مُتعدّدة،من أهمها: المجالات الحركيَّة، والاجتماعيَّة، واللُّغويَّة، والرعاية الذاتية.

• أهمية التدخُّل المبكر في علاج الطفل التوحُّدي:

يُساهم التدخُّل المبكر ــ إلي حدٍ كبيرٍ ــ في تأهيل وتطوير حياة الشخص المُصاب بالتوحُّد،حيث أثبتت التجارب العلميَّة أنَّ تطوُّر الحالة وتحسُّنها يكون أفضل بكثير إذا كان الطفل يخضع لبرنامج تعليمي منظم بدرجةٍ عالية ومكثفة من سن (٢,٣) سنوات، ممَّا يمنح فرصة أكبر لتطوُّر ونموّ المخ عنده، واكتساب الخبرات والتفاعُّل مع المُحيط الذي من حوله، الأمر الذي يؤدي إلي تنمية القدرة المعرفيَّة والاجتماعيَّة لديه٠

وهناك العديد من الأدلة والبراهين التي تؤكّد أنَّ التدخُّل المبكر يُزيد من فرصة الطفل في تعليمه وتطوُّره، ويُحسّن من وظيفة وتفاعُّل الأسرة مع الموقف بشكلٍ عام. كما يُخفّف من العبء المُلقي علي عاتق المجتمع.

كما أظهرت الكثير من الدراسات في الوقت الحالي أنَّ التدخُّل المبكر يُزيد من فرص تعليم وتأهيل الطفل للدخول إلي المراحل الدراسيَّة الأخيرة ــ أحياناً ــ تؤهله لإيجاد مهنة في المستقبل، مقارنةً مع الطفل الذي لم تتح له فرصة التدخُّل المبكر٠

وفي دراسات أُخري حديثة، تبيَّن أنَّ الأطفال الذين حصلوا علي خدمة التدخُّل المبكر قد أظهروا أداءً أكاديميًّا،وغير أكاديمي أفضل مُقارنةً مع الأطفال الذين لم يتلقوا خدمة التدخُّل المبكر.

إنَّ المُصابين بالتوحُّد والاضطراب النمائي الشامل يحتاجون إلي ساعاتٍ عديدةٍ من التعلُّم المنظم حتى يظل الذهن مشغولاً بالعالم المُحيط، ويحتاجون إلي التفاعُّل بطريقةٍ مجديةٍ ومفيدةٍ مع الكبار والصّغار.

وهناك العديد من المبررات التي تؤكّد أهمية التدخُّل المبكر للأطفال الذين يُعانون من التوحُّد، لعل من أهمها ما يلي:

١. السنوات الأوَّلي من عُمُر الطفل تكون بعض المراكز العصبيَّة والحسيَّة في الجهاز العصبي ما زالت في طور التشكُّل، ممَّا يجعل من السهل تعديلها وتطويرها.

٢. إنَّ عدم الكشف عن المشكلة في مرحلةٍ مبكرةٍ يؤثّر سلباً علي مظاهر النموّ الأخرى لدي الطفل، فعدم مُعالجة أنماط السلوك الحركي الشاذ لدي الطفل التوحُّدي يؤثّر سلباً علي مظاهر النموّ الحركي والمعرفي لديه.

٣. تلعب الخبرة المبكرة مع الأهل دوراً مهماً من خلال إتباعهم ـــ منذ السنوات الأوَّلي من حياة الطفل ـــ

الأساليب العلميَّة والتربويَّة للتعامُّل مع طفلهم، وبالتالي التقليل من السلوكيات غير المرغوب فيها، وذلك لما يتصف به الطفل في هذا العُمْر من المرونة والقابلية للتغيير، بالإضافة إلي تقليل الضغط والقلق الناتج عن عدم معرفتهم للطرق والأساليب المناسبة للتعامُّل مع طفلهم.

٤. هناك دورٌ كبيرٌ تلعبه الخبرة المبكرة علي حياة الطفل، تلك الخبرة التي يكتسبها الطفل من والديه، ومن بيئته المُحيطة به، فتأخُّر الأهل في الكشف عن مشكلةٍ ما يُعاني منها الطفل يؤدي إلي التأخُّر في تقديم الخدمات المناسبة له، فالطفل التوحُّدي علي سبيل المثال، الذي يُعاني من ضعفٍ شديد في اللُّغة إذا لم تتوافر له الخدمات العلاجيَّة المناسبة في مراحل مبكرة من عُمْره أدي به ذلك إلي التأخُّر في النموّ اللُّغوي.

وكمحصلةٍ نهائية.. فقد أثبتت الدراسات المُتعدّدة أنَّ التدخُّل المبكر يقوم علي تسهيل تطوير نموّ الطفل، بالإضافة إلي تقديم الدعم والمساعدة للأهل والطفل معاً للوصول إلي أقصي حدٍ ممكن من الإفادة والمساعدة لمجتمعهم.

• مواجهة مشكلات السلوك لأطفال التوحُّد:

تُعتبر مواجهة المشكلات السلوكيَّة المُصاحبة للتوحُّد عملية ليست بسيطة،حيث لا توجد علاجات سريعة وسهلة للتقليل أو القضاء عليها، مثل: إيذاء الذات، والسلوك العدواني،وسلوك التدمير. وفيما يلي بعض الاقتراحات للحيلولة دون تفاقمها:

- قد يأتي الطفل المُصاب بالتوحُّد بمشكلاتٍ سلوكية في المدرسة دون أن يقوم بها في البيت، فقد يكون الأب قد طوَّر إستراتيجية مُعيَّنة للسيطرة علي سلوك الطفل، ولكن المُعلّم ليس علي دراية بها وبالتالي فإن من المهم تعاون كُلّ من الأب والمُعلّم في هذا الخصوص.
- هناك أسباب جسمانيَّة لابدّ من أن توضع في الاعتبار عند محاولة علاج الطفل سلوكيًّا داخل المدرسة، فاستخدام المنظفات الكيميائيَّة لتنظيف الفصول الدراسية تؤثّر علي الأطفال المُصابين بالحساسية، ويُفضَّل التنظيف بالمواد الطبيعيَّة.
- كما أن استخدام المصابيح الفلوريسنت تؤثّر تأثيراً سيئاً علي الأطفال المُصابين بالتوحُّد، لذا.. يمكن للمُعلّمين استخدام الأضواء الطبيعيَّة داخل الفصول.

- يمكن أن تكون الصعوبات في لغة التعبير هي أحد أسباب المشكلات السلوكيَّة، ولذا.. فهناك العديد من إستراتيجيات التواصل، مثل: نظام التواصل بتبادل الصور، والتواصل الفوري (باستعمال لُغة الحديث ولغة الإشارة في وقتٍ واحد) التي يمكن استعمالها في تعليم مهارات التواصل التعبيري.

- الحساسية الخاصَّة بالأطعمة عادةً ما تكون أحد أسباب المشكلات السلوكيَّة، ومعظم الأطعمة المُسبّبة للحساسية،هي: منتجات الألبان، والمواد الحافظة، والمواد الملونة، وبعض أعراضها هي: الصداع، والغثيان، وآلام المعدة، ونتيجة لذلك يصبح الطفل التوحُّدي أقلّ تحمُّلاً للآخرين، ولديه ميل إلي الضرب والعراك، وبالتالي يجب فحص الطفل فيما يختص بحساسية الأطعمة المشكوك فيها، وإذا كانت النتيجة إيجابية لحساسيته ضد أطعمة مُعيَّنة فلابدّ من حظر هذه الأطعمة علي الفور.

وفيما يلي وصف لبعض البرامج وطرق المُعالجة، والتعامُل مع المشكلات التي تنشأ عن الأطفال التوحُّديين في بيوتهم، وقد صممت برامج المُعالجة لكُلّ طفل علي حدة ــ بمساعدة والديه ــ وتمَّ وصف النتائج في التطوُّر الذي يُحققه كُلّ طفل بمفرده:

١ــ تغيير السلوك الاستحواذي، والسلوك النمطي للأطفال التوحُّديين:

إنَّ تقليل السلوك النمطي للأطفال التوحُّديين ضروري ليس فقط لما يسببونه من إزعاجٍ، بل أيضاً لأنَّ استمرار هذا السلوك يتداخل مع تعلُّم الطفل لمهارات أخري؛ لذا.. لابدّ من إيجاد وسائل فاعلة لتقليل هذا السلوك.

كان في السَّابق يُستخدم أسلوب التنفير، وكذلك الأسلوب التأديبي، إلاَّ أنَّ هذين الأسلوبين لم يُجديا؛ ولهذا وُجدت وسائل علاجية أخري.أحد الأهداف الأولية للعلاج هو زيادة قدرات الطفل في الاختلاط واللَّعب بطريقةٍ تُقلِل من السلوك الاستحواذي، وفي كثيرٍ من الحالات يُلاحظ أنَّه عندما تتحسَّن مهارات اللَّعب والكلام يقلّ السلوك النمطي تلقائياً، مثال ذلك: تعليم الطفل بطريقةٍ وظيفيةٍ ينتج عنه نقصان السلوك اليدوي النمطي.

٢ــ النشاطات النمطية المتكررة:

هناك كثيرٌ من الأطفال يقضون معظم يومهم في تكرار نشاطات نمطية من نوع واحد، وتتضمَّن هذه النشاطات: اللمس المتكرر لأشياء مُعيَّنة، أو وضعها في خطٍ واحد لانهائي. والهدف هو تقليل التأثير السَّلبي الذي يعكسه هذا السلوك علي الأسرة، وذلك بتقليل حِدة هذا السلوك تدريجياً.

«سامر» كان يقضي معظم وقته في وضع السيارات في صفٍ واحد، هناك خطوط طويلة من السيارات التي ملأت غرف البيت ٠وقد تمَّ تقليل هذه الممارسة بالإلحاح عليه بتخفيض عدد السيارات. في البداية حاول والده حصر المسافة التي يمكنه أن يُمارس نشاطه فيها، ومن ثمَّ سمحوا له بعمل صفوف السيارات في جميع الغرف ما عدا غرفة واحدة، وكان المكان المُعيَّن هو الحمام؛ لأنَّ «سامر» يُحب الاستحمام، ولم يكن يُسمح له بذلك إذا كانت هناك سيارات داخل الحمام، وإذا أراد أن يتناول طعامه المفضل كان يجب ألاَّ تكون هناك سيارات في المطبخ، ولا يُسمح له بمشاهدة التلفزيون إذا كانت هناك سيارات في غرفة المعيشة٠وبهذه الطريقة التدريجية تمَّ الحد من حُريَّته في وضع السيارات، وتوقف « سامر» عن هذا السلوك، إلاَّ أنَّها لم تنته تماماً؛ ولأنَّه ليس بمقدور الوالدين تمضية كُلّ وقتهم مع «سامر» ، ولأنَّه لا يستطيع أن يستمتع بالنشاطات العادية؛ لذا.. وُجد أنَّ من غير المُجدي أن نحدّ تماماً من استمتاع «سامر» بالنشاطات الطقوسية الخاصَّة به؛ لذلك.. إذا تمَّ تقليل هذه النشاطات لمستوي مقبول فلا بأس علي الإطلاق٠

٣ ــ الروتين اللفظي:

هناك كثيرٌ من الأطفال الكبار في سن التحدُّث يتبعون روتين لفظي مُعيَّن٠وهناك بعض الآباء يتعاملون مع هذا

الروتين اللفظي بطرق مختلفة، فبعضهم يسمح للطفل أن يطرح أسئلته الاستحواذية في أوقاتٍ مُعيَّنة من اليوم ثُمَّ تقل تدريجياً٠ وآخرون يتعاملون مع ذلك بتقليل عدد الأسئلة في كُلّ مرَّة ويتفق البعض بالإجابة علي خمسة أسئلة في المرَّة، ولا يزيد علي ذلك حتى ينقضي الوقت المُحدَّد، ثُمَّ يتناقص عدد الأسئلة تدريجياً، مثال: كان «خالد» يقوم باستمرار بطرح أسئلة حول مواضيع مُعيَّنة باستمرار تتعلَّق بالاتجاهات وطرق السيارات٠رغم أنَّ والديه حاولا تجاهل أسئلته، إلاَّ أنَّ ذلك نتج عنه مستويات غير مقبولة من الضيق والقلق، وبعدها استسلما وبدءوا في التجاوب معه بالشكل الذي يرضيه، وتمَّ تحديد عدد الأسئلة المسموح بها في المرَّة الواحدة، ووضح له أنَّ الأسئلة لن يجاوب عليها مرَّة أخري لفترةٍ مُعيَّنة من الزمن، وفي خلال هذه الفترة يمتنع الوالدان تماماً من الإجابة علي الأسئلة الاستحواذية، وبدلاً من ذلك يُشجع علي الحديث عن مواضيع أخري، وتدريجياً تمتد فترة عدم الإجابة علي الأسئلة الممنوعة وتقتصر إلي جلسةٍ أو جلستين في اليوم، وبهذه الطريقة يقلّ سخط الوالدين من الالتزام بالإجابة علي الأسئلة المكررة، ويقلّ قلق «خالد» من عدم الإجابة علي أسئلته.

٤ــ مقاومة التغيير:

يُصاب معظم أطفال التوحُّد بسخطٍ شديدٍ عند حدوث تغيير ولو بسيط في مُحيطهم الذي يعيشون فيه، مثل: أن يُترك باب الحجرة في وضع مختلف اختلافاً بسيطاً جدًّا، أو أن تُزاح المنضدة عن مكانها المُعتاد٠في مثل هذه الحالات من المقاومة، فإنَّ إدراك الطفل التوحُّدي لتغيير أماكن الأشياء هو المرحلة الأولي في تعديل السلوك، وعندما يتحمَّل الطفل التغيير البسيط عندها يمكن تشجيعه تدريجياً بقبول تغيُّرات أكبر وأوضح، وبمرور الوقت فإنَّ كثيراً من الأطفال سوف يبدءون بالاستمتاع بالاختلاف في حياتهم اليوميَّة.

٥ــ سلوك التجميع الاستحواذي:

نجد عدد من الأطفال يقومون بتخزين عدد وافر من الأشياء، بدلاً من الانغماس في نشاطات طقوسية، وذلك بوضع الأشياء في صفوف لا نهاية لها٠فقد قام الطفل «نادر» لأكثر من سنةٍ بتجميع جميع الدُمى علي شكل « دُب »، والتي استطاع الحصول عليها حتى وصل العدد إلي (١٨) «دُبًّا»، ووضعهم جميعاً علي مقعد والده في غرفة المعيشة٠وكان «نادر» يعرف جيداً ما إذا كانت هذه «الدببة» قد نقصت أو زادت، أو تمَّ تحريكها من مكانها علي المقعد.

في البداية قام الأب بأخذ « دُب » صغير، ولم يُسمح ل«نادر» بوضعه علي المقعد، وذلك بربطه في مقعدٍ آخر، بواسطة خيط صغير، وفي خلال الأسبوع التالي أُخذ «الدُب» تدريجياً لغرفة «نادر»، وفي هذه الفترة تمَّ أخذ «دُب» آخر من المقعد، وتمَّ تشجيع «نادر» علي اللَّعب بهذه «الدببة» في أوقاتٍ أُخري من اليوم، وبذل والده مجهوداً كبيراً لجعل « نادر» يُمارس نشاطات تمثيلية مثل: غسل وتنظيف «الدببة»، أو إطعامها٠وتدريجيًّا.. ولمدة خمسة أسابيع تمَّ سحب جميع «الدببة» من علي المقعد، ومازال «نادر» يُشجع علي التعامُّل مع «الدببة» ، إلاَّ أنَّه لا يُسمح له بتجميعها٠وبعد عام مازال مُتعلّقاً ب «دببته»، وكان يعلم مكان كُلّ «دُب» منهم، ولكنَّه لا يقوم بتجميعها، ولا يُصر علي بقائها في مكانٍ مُعيَّن في البيت.

٦ـ التكيُّف عند الارتباط بالأشياء:

ينتشر الارتباط الوثيق بأدوات الأمان مثل: «البطانية» عند الأطفال الطبيعيين، حيث يكون الارتباط بـ«بطانية» مُعيَّنة ليس سواها، أو يشعرون بالرَّاحة في تواجدها في حالة المرض، أو التَّعب، أو القلق ٠ومهم جدًّا أن يكون لدي الطفل أدوات الأمان في مثل هذه الحالات، ويغضب الطفل إذا لم تتوفر هذه الأدوات ٠ولكن ارتباط الأطفال التوحُّديين لا يبدأ بالتناقص عندما يكبرون، ولا

يستخدمون تلك الأدوات كمصدر للرَّاحة في المقام الأوَّل، وعادةً ما يكون الطفل كاره التخلي عن أدواته لأداء نشاط آخر.

«وليد» طفلٌ عُمْره خمس سنوات، كان مُرتبطاً ببطانيةٍ منذ أن كان عُمْره بضعة أشهر، لا يمكن نزعها منه ما لم يكن نائماً، وكان حجمها يتداخل مع كثير من النشاطات الأخرى، وعندما رفض نزع البطانية أثناء النهار قرَّر والده إنقاص حجمها، وتدريجياً قامت الأم بقصّ قليل من السنتيمترات ، ولم يلحظ «وليد» انكماش البطانية، بل كان سعيداً بمسك الخيط الذي في أطرافها، ومن ثمَّ بدأ يقلّ اهتمامه بها٠

٧ ــ الأغراض البديلة:

بعد أن تخلي «وليد» عن التمسُّك بـ«البطانية»، بدأ يحمل لُعبة علي هيئة «أتوبيس» مصنوع من البلاستيك أحمر اللَّون، كبير الحجم، وبدأ والده بتقسيم «الأوتوبيس» لقطعٍ صغيرةٍ حتى يقوم بحمل قطعة صغيرة الحجم في كُلّ مرّة، وفجأةً.. أدركت الأسرة الفائدة الكامنة في هذا الاهتمام الجديد٠في السَّابق لم يكن يُبدي «وليد» أي اهتمام بالألعاب إلاَّ اهتمامه بالبعض، ومنها السيارات التي جعلته يلعب مع الآخرين، وذلك بدفع السيارة للخلف وللأمام مع والديه٠وتأكَّد والده من أنَّه لم تعد سيارة واحدة فقط هي التي تُسيطر علي اهتمامه، وإن لاحظوا اهتمامه

بسيارةٍ مُعيَّنةٍ يقوموا باستبدالها بأخرى، وبهذه الطريقة تمكَّنوا ليس فقط من تقليل الارتباط بالأشياء لمستوي يمكن مُعالجته، بل أيضاً تمكَّنوا من تشجيعه علي ممارسات اجتماعيَّة، وهكذا.. فإنَّه يمكن باستخدام أسلوب التغيير التدريجي لإبعاد الطفل من التعلُّق بالأشياء بشكلٍ يتداخل في نشاطاته أو قدراته علي التعلُّم وأيضاً لفائدة التطوُّر العام للطفل.

٨ ـــ مشاكل الطعام والنَّوم:

أحد الأطفال يعمد علي تناول الطعام ليس فقط في نفس الوقت من كُلّ يوم، بل أيضاً في نفس المكان والمنضدة، وبنفس أدوات المائدة (الأطباق والملاعق).

استخدام وسائل التغيير التدريجي في أوَّل الأمر، مثل: أوقات الوجبات، أو وضع المنضدة، أثبتت نتائج سريعة٠كما أثبتت وسائل التغيير التدريجي فعاليتها في علاج أطفال توحُّدين آخرين، نتجت مشاكل لديهم من مقاومة التغيير٠كمية قليلة من طعام جديد غير مقبول لدي الطفل يمكن خلطه داخل الوجبة المُعتادة لدي الطفل، فإذا تقبَّل هذا الطعام دون مشاكل يمكن زيادة كمية الطعام الجديد تدريجياً٠أمَّا في حالة عدم إمكانية خلطه فيمكن تقديم كمية قليلة جدًّا من الطعام الجديد (ملعقة صغيرة) للطفل ويُشجع علي تناوله مع طعامه المُفضل٠وعندما

يتقبَّل الطفل هذه الكمية القليلة يتمَّ زيادة الكمية من الطعام الجديد بشكل يومي.

أمَّا التعامُّل مع مشكلة النَّوم بطريقة التغيير التدريجي،فهي كالتالي: حيث بدأت مشكلة «أحمد» تدريجياً بإصراره علي أن تقضي والدته معه وقتاً طويلاً في غرفته حينما ينام، ثُمَّ أصبحت تنام معه حتى الصباح.بدأ العلاج التدريجي لهذه الحالة بانسحاب الأم تدريجيًّا من غرفة نوم طفلها أوَّلاً، ثُمَّ وضع مرتبة قابلة للنفخ وقد وضعت بجوار سريره حتى تستطيع الأم القيام باحتضانه بمُجرَّد استيقاظه كالعادة، ثُمَّ بدأت تزيح المرتبة عدة بوصات مرَّة بعد أخري حيث تستطيع الأم أن تتحدَّث معه وتلمسه عندما يستيقظ لكن لا تستطيع أن تحتضنه بسهولة، ثُمَّ ابتعدت المرتبة أكثر.وعند استيقاظ «أحمد» تستطيع الأم إرضاءه بالحديث فقط، ولا تستطيع لمسه، وفي فترةٍ وجيزةٍ قَبِلَ «أحمد» هذه التغيُّرات.

وفي الشهر الثاني من العلاج قامت الأم بوضع فراشها في الصالة بين غرفة «أحمد» وغرفتها، وفي نهاية الشهر الثاني استطاعت الأم أن تعود إلي غرفتها.ورغم أنَّ «أحمد» مازال يستيقظ من نومه أحياناً إلاَّ أنَّه يمكن التعامُّل معه بسهولةٍ، وذلك بمناداته عن بُعد وتشجيعه علي النَّوم مرَّة أُخري.